

الازدواجية السردية في أدب الطفل

دراسة قصة «بستاني أين أنت؟» نموذجاً

Narrative duality in children's literature

Study of the story "Where are you my garden?" as a Model

بشرى سادات ميرقادي *

زهرة ده بزركي *

تاريخ النشر: 20/08/2021	تاريخ القبول: 02/04/2021	تاريخ الإرسال: 11/03/2021
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

القصة تعدّ من أهمّ الأشكال الأدبية التي تميل إليها نفوس الأطفال وذلك بما تحمله من أسلوب و لغة و طريقة سرد مميزة. وهناك صلات وثيقة و جامعة الأطراف بين الطفل و أدب الطفولة و خالق هذا الأدب و نقده. ولكن يبقى أدب الطفولة يفتقر للدراسات النقدية الجادة. النقد بإمكانه أن يتوسّط بين العمل الأدبي وخالقه من جهة و بين الطفل وهذا العمل الأدبي من جهة أخرى و أن يوثق التواصل الموجود بينهم. ونقد أدب الأطفال سبب تقدّم هذا الأدب و كماله. بما أن سرد القصص من الأساليب المشوقة والهامة لتعليم الأطفال والكبار، فنقد القصة في أدب الأطفال لها أهمية كبيرة في حياة الطفل و تعلمه و تنمية شخصيته؛ يتم السرد في قصص الأطفال المصورة عبر التفاعل المزدوج بين الصورة والنص؛ فسّطت هذه الدراسة الضوء على دراسة هذه الازدواجية السردية في قصة الطفل، معتمدةً منهج تحليل المضمون. كما حاولت الكشف عن استخدام الحوار والوصف وعلاقة النص والصورة كعناصر من آليات السرد بجانب السرد الموضوعي والسرد الذاتي. وقع الاختيار على قصة «بستاني أين أنت؟» لبنيتها محيدلي وهي أحد رواد الاتجاه الجديد في أدب

المؤلف المرسل: بشرى سادات ميرقادي bsmirghaderi@gmail.com

* الأستاذ المساعد (كلية الآداب، جامعة شيراز، إيران). bsmirghaderi@gmail.com
* ماجستير فرع اللغة العربية (كلية الآداب، جامعة شيراز، إيران). ziba1089@gmail.com

الأطفال العربي. باستخدام آليات السرد المناسبة مع عوالم الطفولة، نجحت الكاتبة في التفاعل البناء مع المخاطب الطفل.

الكلمات المفتاحية: أدب الأطفال، الازدواجية السردية، الكتب القصصية المصورة، بستاني أين أنت، نبيمة محيدلي.

Abstract:

The story is considered one of the most important literary forms that children's souls tend to, due to its distinctive style, language and narrative method. There are close links between the child and children's literature and the creator and criticism of this literature. However, children's literature remains lacking in serious critical studies. Criticism can mediate between the literary work and its creator on the one hand, and between the child and this literary work on the other hand. Criticism of children's literature is the reason for the progress and perfection of this literature. Since storytelling is an interesting and important method for educating children and adults, criticism of the story in children's literature has great importance in the child's life, learning, and personality development. The narration in children's storyboards takes place through the double interaction of the picture and the text. This study sheds light on the study of this narrative duality in the child's story, using the contextual analysis approach. It also tried to uncover the use of dialogue, description, and the relationship of text and images as elements of narration mechanisms, in addition to objective narration and self-narration. The choice fell on the story "My Garden! Where Are You?" by Nabiha Muhaidli. She is one of the pioneers of the new trend in Arab children's literature. By using narrative mechanisms proportional to the worlds of childhood, the author succeeded in constructive interaction with the child.

Key words: Narrative. duality . children's literature. story. "Where are you my garden?"

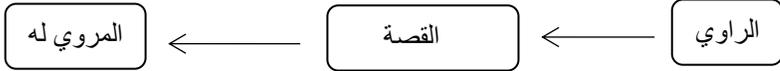
مقدمة:

تعد النصوص السردية ، اليوم من أبرز النصوص الأدبية المتناولة من قبل النقاد والدارسين، إن السرد بأشكاله اللانهائية تقريباً، حاضر في كل الأزمنة، وفي كل الأمكنة، وفي كل المجتمعات؛ فهو يبدأ مع تاريخ البشرية ذاته؛ فلم يوجد أي شعب دون سرد.

الازدواجية السردية في أدب الطفل دراسة قصة «بستاني أين أنت؟» نموذجاً

السرد هو أسلوب من الأساليب المتبعة في القصص و الروايات وكتابة المسرحيات، ويعدّ أداةً للتعبير الإنساني، ويقوم الكاتب بترجمة الأفعال والسلوكيات الإنسانية والأماكن إلى بنى من المعاني بأسلوب السرد، وبذلك يكون الكاتب قد قام بتحويل المعلومة إلى كلام مع ترتيب الأحداث.

«الرواية أو القصة باعتبارها محكيًا أو مرويًا تمرّ عبر القناة الآتية؛



والسرد يقصد به الكيفية التي تُروى بها القصة عن طريق القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها «(الحمداني، 2000: 45).

فالسرد هو طريقة الراوي أو المؤلف في تقديم القصة المروي له بحيث تتضمن هذه القصة أحداثاً؛ والسرد بأقرب تعاريفه إلى الأذهان هو الحكّي الذي يقوم على دعامتين أساسيتين: «أولهما: أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداثاً معينة. وثانيهما: أن يعين الطريقة التي تحكي بها تلك القصة و تسمى هذه الطريقة سردًا ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكي بطرق متعددة، ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكّي بشكل أساسي» (الحمداني، 2000: 45).

أدب الأطفال: هو أدب يتوجّه إلى فئة محددة من الناس، و هي الأطفال و يراعي فيه مستوى إدراكهم، و قدرة استيعابهم، و يكون ذلك في جميع الأنواع الأدبية التي تكتب لهم: من قصص و مسرحيات و أشعار. و القصة تعدّ من أهمّ الأشكال الأدبية التي تميل إليها نفوس الأطفال وذلك بما تحمله من أسلوب و لغة و طريقة سرد مميزة؛ لذلك فقد حظيت باهتمام كبير لدى علماء النفس و التربية، باعتبارها وسيلة ترفية و نشر المعرفة و الثقافة، و عامل مهم في تلبية رغبات الطفل. وهناك صلات وثيقة وجامعة الأطراف بين الطفل وأدب الطفولة و خالق هذا الأدب و نقده. النقد بإمكانه أن يتوسّط بين العمل الأدبي وخالقه من جهة وبين الطفل وهذا العمل الأدبي من جهة أخرى وأن يوثق التواصل الموجود بينهم. و نقد أدب الأطفال سبب تقدّم هذا الأدب و كماله. ويساعد النقد تقدّم الكاتب في أعماله الأدبية.

ومن الكتاب الناجحين في مجال أدب الأطفال، نبهة محيدلي. ولدت في لبنان عام 1962. كاتبة للأطفال و رئيسة تحرير دار الحدائق المتخصصة بكتب الأطفال و محاضرة و باحثة في أدب الطفل و أستاذة في الجامعة اللبنانية. و دكتوراه في الإعلام و الإتصال. و بما أن سرد القصص من الأساليب المشوقة و الهامة لتعليم الأطفال و الكبار، فنقد القصة لها أهمية كبيرة في حياة الطفل و تعلمه و تنمية شخصيته؛ فسَلطت هذه الدراسة الضوء على دراسة السرد في قصة بستاني أين أنت؟ لنبهة محيدلي و هي أحد رواد الاتجاه الجديد في أدب الأطفال العربي، و أعمالها حازت الجوائز المتنوعة.

في هذه الدراسة بعد قراءة النظريات و مناهج علم السرد و نظراً إلى ميزات أدب الأطفال، و طريقة سرد قصص نبهة محيدلي للأطفال انقسم السرد إلى قسمين : السرد الموضوعي، السرد الذاتي. و قد استعان السرد بوسائله المعروفة و الهامة في تشكيل البناء السردية، و هي : الصورة و الوصف و الحوار الذي جاء على شكلين رئيسيين هما : الحوار الخارجي، الحوار الداخلي (المونولوج).

تسعى هذه المقالة الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هي آليات السرد المستخدمة (السرد الموضوعي و السرد الذاتي) في هذه القصة؟
كيف تستعين الكاتبة في تأدية السرد للوظيفة البنائية بوسيلتين سرديتين: الوصف و الحوار في سرد قصتها؟

ما هي العلاقة بين النص و الصورة في هذه القصة و كيف استخدمتها الكاتبة كعنصر من العناصر السردية؟

سبقت هذه الدراسة، دراسات أهمها:

ميرقادي (1393)، اعتماداً على علاقة النص و الصورة، درست آليات اللامركزية في كتاب «كائنات سقف الغرفة» لنبهة محيدلي، و استنتجت أن علاقة النص و الصورة في هذا الكتاب، علاقة توضيحية. بمعنى أنّ النص لا يهتم عادةً بالجزئيات، و الصورة تعكس الجزئيات. فالصورة تقوّي المادة الأساسية الموجودة في النص. لا يمكن اتباع القصة من خلال الصور، لأنها لا تروي القصة بشكل كامل.

أونيس (2012)، بحثت عن البنية السردية في قصص الأطفال في سلسلة قصة "حكّت لي جدتي" لصالحي شريفة و كانت دراستها في قصص الأطفال العربية عامة و الجزائرية

خاصة، وتحاول الكشف عن كيفية تشكيل البناء السردى في هذه السلسلة. ودرست البنية الزمانية والمكانية و الشخصية وكيفية تشكيل الحوار واللغة فيها.

ظريف(2015)، تهدف في دراستها إلى الكشف عن آليات بناء الشخصيات في القصص الموجهة للأطفال باعتبارها ركيزة هامة في العمل السردى بصفة عامة، وكذا أهم مرجعيات تلك الشخصيات، وذلك بالاستعانة بما أفرزته جهود الباحث فيليب هامون حول دال الشخصية ومدلولها، وتركز هذه الدراسة على مجموعة من أعمال أحمد خياط التي تدخل في إطار ما يسمى بأدب الطفولة.

يتناول عودة بدن وعبدالرضا(2016)، في مقالتهما أساليب السرد في قصص محمود الظاهر، و عبرا عن السرد، بأنه الأداة التعبيرية التي تسهم في البناء الفني لعناصر القصة ودرسا السرد الموضوعي، والسرد الذاتي والسرد المتداخل، و الوصف و الحوار في قصص الظاهر. ووصلا إلى تنوع السرد و بروز الوصف بوظائف المتعددة في قصص الظاهر. و كما نرى أن هذا النقد السردى لقصص الكبار و ليس للأطفال.

Flynn, Richard (2010). جمع أهم المقالات التي كتبت في مجال أدب الطفل وتقنيات السرد للقصص الأطفال، المقالات التي لم يطبع قبل ذلك. وبين عناصر السرد القصصي للأطفال.

هذه الدراسات التي سبقت هذه الدراسة، هي التي أضاءت الطريق و حالت دون الضلال والتشتيت إلا أنها لم تتطرق إلى نقد سرد قصص الأطفال على النحو الذي تهدف هذه الدراسة. درست الباحثة طرائق تحليل السرد الأدبي وآراء رواده و مناهجهم المختلفة ونظراً إلى ميزات أدب الأطفال تصل إلى العناصر التي يمكن تطبيقها لقصص الأطفال في كتب نبهة محيدلي.

تستخدم هذه الدراسة، منهج تحليل المضمون الكيفي للكشف عن آليات السرد في قصة «بستاني أين أنت؟»

2. آليات السرد

2.1. السرد الموضوعي

يقدم الراوي في هذا السرد الأحداث على شكل إخبار، دون أن يفسر لنا كيفية تمكنه من معرفة هذه الأحداث و يكون مطلعاً على كل شيء حتى الأفكار السرية للأبطال.

2.2 السرد الذاتي

إن الراوي في هذا النمط من السرد حاضر كشخصية في الحكاية التي تروي أحداثها و يلفظ هذا السرد باستعمال الضمير المتكلم» (يوسف، 2015: 42).

إن كل عمل فني هو بناء، وهذا البناء يحتاج إلى وسائل لإتمامه، ولذلك وجب على سرد القصصي الإستعانة بوسائل وهي الوصف و الحوار. فالراوي يحتاج إلى الوصف لكي يصف كل ما هو خاص بالقصة، و يلجأ إلى الحوار لكشف الشخصيات ، و للإسهام في نمو الحدث و تطوره.

2.3 الوصف

يعدّ الوصف من أهم وسائل السرد، «ويمكن للكاتب أن يقدم مادته عن طريق الوصف، الذي يطلق على ما يتضمنه السرد من تمثيل للأشياء، والشخص في وجودها المكاني لا الزماني» (مقدادي، 2012: 125). لا توجد حكاية بلا وصف كما أشار إلى ذلك جيرارجينت. لأنّ «الوصف أكثر لزوما للنص من السرد ذلك لأنه أسهل علينا أن نصف دون أن نحكي، من أن نحكي دون أن نصف، ربما لأن الأشياء يمكنها أن توجد دون حركة على عكس الحركة التي لا تستطيع أن تكون دون أشياء» (جينت، 1992: 76). «تقوم العلاقة بين الوصف و السرد على أساس أن الوصف يكون خديما لازما للسرد، لأنه لايجوز أن نتصور الوصف مستقلا عن السرد، بيد أننا لانكاد نلقاه أبدا في حالة مستقلة» (جينت، 1992: 76). إذن الوصف يسعى إلى الكشف عن الأشياء و مكوناتها والكشف عن الشخصيات وطباعتها. فوصف الحدث هو بحد ذاته غوص في أعماق الشخصية لتطرح بذلك ما فيها من مشاعر و أحاسيس و ميولات لتعبر عن خلجاتها و عن اضطرابها أو استقرارها، فهي تكشف عن طبع الشخصية. فاللوصف أهمية بالغة الأثر في العمل الأدبي، لأنّ السرد لايمكن أن يستغني عن حد أدنى من الوصف سواء كان وصفاً للشخصيات أو الأماكن أو الأحداث.

2.4 الحوار

يُعدّ الحوار نمطاً من أنماط التعبير الفني، وعنصرًا هامًا يشترك مع السرد والوصف في بناء النصّ الروائي، فهو يكتسب أهمية قصوى «بفضل وظيفته الدرامية في السرد، وقدرته على تكسير رتابة الحكّي، بضمير الغائب الذي ظل يهيمن ولايزال على أساليب الكتابة الروائية» (بحراوي، 1990: 166). فليس هناك من وسيلة للتخاطب بين الشخصيات غير

الحوار، لذلك لا يستطيع أى عمل قصصي الاستغناء عنه. وهناك نمطان أساسيان للحوار، هما:

أ. الحوار الخارجي: يعد هذا النمط الأكثر انتشاراً و تداولاً في النصوص القصصية و الروائية. وهو «الذى تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر في إطار المشهد داخل العمل القصصي بطريقة مباشرة» (عبد السلام، 1999: 41).

ب. الحوار الداخلي (منولوج): «يجري المنولوج داخل الشخصية، ومجاله النفس أو باطن الشخصية، ويقوم بإدخال القارئ إلى الحياة الداخلية للشخصية من دون تدخل الكاتب» (ويليك ووارني، 1992: 235). يعد حوار الداخلي وسيلة إلى إدخال القارئ مباشرة في الحياة الداخلية للشخصية.

2.5 العلاقة بين النص والصورة:

وبما أنّ ذهن الطفل يتفاعل مع الصورة و الرؤية البصرية أكثر من الكلام و النص؛ والأطفال يفكرون بصرياً، تعتمد قصص الأطفال اعتماداً كبيراً على الصور والرسوم لتعليم الأطفال و تقرب الفهم عليهم وخصوصاً أطفال ما قبل المدرسة، لأنّ هذه الصور والرسوم تراعي شعور الطفل وأحاسيسه في تقبل المعاني وتسهل عليهم فهم أحداث القصة و تفسر لها من خلال المراقبة والملاحظة و المقارنة؛ لأنّ غالبية الأطفال في هذه المرحلة لا يحسنون القراءة. «والرسوم والصور الملونة تساهم في إخراج القصة له إخراجاً فنياً يزيد من جاذبيتها وأناقتهما» (مارون، 2011: 194). و يعدّ مايكل تولان الصور في قصص الأطفال عنصر من مكونات سرد القصص للأطفال ويقول: «إنّ الصور تسهل فهم القصة على الأطفال و تفسرها و تواصل عمل السرد باستخدام آليات غير آليات الكلامية» (تولان، 1386: 256).

وتُدرس العلاقة التي بين النص و الصورة في هذه القصة ، كعنصر من عناصر السرد. «يمكن تقسيم الكتب القصصية المصورة إلى عشر مجموعات، اعتماداً على نسبة النص والصورة ومهمة بعضهما تجاه البعض:

- النص: أصلي، الصورة: زخرفة
- النص: أصلي، الصورة: سرد النص
- النص: أصلي، الصورة: سرد وإكمال النص
- النص: أصلي، الصورة: مفهوم ما وراء النص

- النص: أصلي، الصورة: مفهوم إيحائي من النص
- الصورة والنص يكمل كل منهما الآخر
- الصورة: أصلي، النص: وصف الصورة
- الصورة: أصلي، النص: قسم من الصورة
- الصورة دون النص
- النصوص المصورة«(ميرقادري، 1393: 5).

وقد سعى البحث إلى تسليط الضوء على السرد القصصي على وفق هذه المحاور.

3. تحليل الكتاب:

3.1 ملخص القصة:

اختارت هذه الدراسة، كتاب «بستاني أين أنت؟» للكشف عن آليات السرد المستخدمة فيها. هذا الكتاب ألفته نبيهة محيدلي ورسمته لينا مرهج. نبيهة محيدلي من الكتاب الناجحين في مجال أدب الأطفال وحاز العديد من مؤلفاتها جوائز متنوعة. كما تُرجم 4 عناوين منها إلى الفرنسية.

نال هذا الكتاب جائزة بوغسيان/السبيل لأدب الطفل.

هذا الكتاب يحكي قصة رجل معه بستانه الذي لا يرى بستاناً آخر يضاهيه جمالاً ومساحة وتنوعاً «بستاني هو الأحد في هذا الوادي.. نعم، الأوحده وليس له ثانٍ» (محيدلي، 2017: 5).... حتى جاء يوماً خرج من بستانه، فوجد نفسه يصعد باتجاه قمة الجبل. فالعمل في البستان أخذ كل وقته، منذ زمن بعيد لم يصعد. حينما وقف ويتأمل مشهد من أعلى، إلتقطت عيناه طرف بستانٍ بعيدٍ، فقال: لا لا، إنها مجرد تخيلات. متأكد أنا، من أنّ بستاني هو الأوحده في هذا الوادي، ولا يوجد غيره. صعد مزيداً من الأمتار، فاتّضح له المشهد في الأسفل أكثر.. كان هناك بستانٌ بعيدٌ لم يكن يعرف عنه شيئاً من قبل. فقال: «لتصحيح، بستاني ليس الأوحده في هذا الوادي. ولكن.. متأكدٌ أنا، من أنه الأكبر. نعم.. إنه الأكبر حجماً هه هه» (محيدلي، 2017: 11). أكمل سيره صعوداً توقّف واستدار، فإذا يرى أمامه بستاناً ثالثاً، بستاناً أخضر، ويبدو أكبر من بستانه.. فقال لنفسه: حسناً للتصحيح.. بستاني ليس الأوحده في هذا الوادي ولا الأكبر، ولكني متأكد من أنه هو الأغنى بشتي أنواع الخُصِرِ والفاكهة التي لا تخطُرُ على بال أحدٍ. ثم أكمل وأكمل ثم وقف وظهر له بستان فيه

من كلّ الأنواع والأشكال. وقال لنفسه: إن لم يكن بستاني هو الأوحّد، ولا الأكبر، ولا الأغنى، فمن المؤكّد أنّه الأجمَلُ.. ارتقى الشّاب نحو القمة. هناك وقف ودار حول نفسه عدّة مرّات وشيناً فشيناً تنكّش أمامه الحقيقة: فبستانيه مجرد واحد من بساتين كثيرة تساوي وتفوق بستانيه في هذه الصفات. تأمل المشهد، دقّق النّظر، وبعد صمّتِ قال: «صحيحٌ.. بستاني ليس الأوحّد، ولا الأكبر، ولا الأغنى، ولا الأجمَل.. هو واحدٌ من كلّ تلك البساتين المنتشرة على مدّ النّظر.. ثمّ أطلق ضحكةً عاليةً ملأت السّماء وقال: بستاني أين أنت؟» (محيدي، 2017: 21).

3.2 آليات السرد (السرد الموضوعي / السرد الذاتي)

بعد تأمل في هذه القصة وصل البحث إلى أن السرد الموضوعي مستخدم فيها، بحيث الراوي في هذه القصة هو عالم الكلّ. فهو ينظر إلى الأحداث من الأعلى. وهو يلقي بيان القصة وأحداثها على عاتق الرسوم والشخصية الواحدة في هذه القصة، وهو الشاب القوي الذي يعمل في بستانه. ولديه أفكاره وتصرفاته الخاصة. فالشخصية باستمداد من الحوار الداخلي ينقل المعاني وتيار القصة الرئيسي إلى القارئ: «أنهى الشاب القوي عمله في البستان، ثم راح يتجوّل فرحاً بما أنجز. وضع اللمسات الأخيرة يااه هه هه ، بستاني هو الأوحّد في هذا الوادي.. نعم، الأوحّد وليس له ثانٍ» (محيدي، 2017: 4-5). والراوي في هذه القصة، هو الذي يملك حرية الحركة والتنقل بين مختلف عوالم شخصية هذا الشاب القوي الذي عمل في بستانه؛ وله القدرة على الرؤية وإخبار ما يراه ويسمع القارئ، باستمداد من الرسوم. إذ يقول: «دار حول البستان. توقف عند كلّ جانبٍ من جوانبه الأربعة.. تأمله. وفي كل مرة كان يقول: أنا متأكد من أن بستاني هو الأوحّد في هذا الوادي.. الأوحّد ليس له ثانٍ.. رفع صوته فتردّد صداه في كلّ أرجاء الوادي: الأوحّد ليس له ثانٍ» (السابق 6-7). وقد استعمل ضمير الغائب سواء كان مستتراً أو ظاهراً وهذا الاستعمال يدل على السرد الموضوعي: (دار، توقف، تأمل، يقول، رفع صوته، فتردّد صداه).

3.3 الوصف

ومن أبرز اللوحات الوصفية التي جاءت في هذه القصة، تلك التي كان الشاب في قمة الجبل وينظر إلى الأسفل ويصف الراوي ما يشاهده، إذ يقول: «البساتين منتشرة في كل مكان: الكبير، الصغير.. الملون، الأخضر، الأصفر، المستطيل، المربع، وحتى الدائري..» (السابق 19-18). ثم وصف حال الشاب ووصف بستانه باستعانة من الحوار الداخلي، حيث يقول: «تأمل

المشهد، دقق النظر، وبعد صمت قال: صحيح.. بستاني ليس الأوحده، ولا الأكبر، ولا الأغنى، ولا الأجل.. هو واحد من تلك البساتين المنتشرة على مدّ النظر..» (السابق 19-18). ثم يواصل وصفه للشباب في هذا المشهد بقوله: «ثم.. أطلق ضحكة عالية ملأت السماء وقال: بستاني أين أنت؟» (السابق 19-18). وتستخدم الكاتبة الوصف التفسيري للتعبير عن الحياة النفسية للشخصية كيف ترى الأمور وتحس بها وترنو إليها، فتجعل القارئ يتجاوز الصور المرئية إلى باطن الشخصية في فهم نزواتها ويفسر سلوكياتها. وجدير بالإشارة هنا بأن الكاتبة نبهه محيدلي تجيد استخدام الوصف موجزاً، لأن أهم شروط الوصف، الإيجاز؛ والإسهاب فيه يقلل من جمالية القصة القصيرة، التي تبقى بحاجة إلى الحركة، وبعيداً عن جمود الوصف.

3.4 الحوار

أ. الحوار الخارجي

بسبب وجود الشخصية الواحدة في هذه القصة، لا نرى الحوار الخارجي فيها. لأن هو حوار تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر الحديث في إطار المشهد داخل العمل القصصي.

ب. الحوار الداخلي

هو الحديث النفسي أو الذاتي للشخصية وبه تكشف الشخصية عما يدور داخلها من أفكار وآراء ومكبوتات نفسية. والراوي يلقي بيان القصة وأحداثها على عاتق الرسوم والشخصية الواحدة في هذه القصة، وهو شاب قوي يعمل في بستانه. ولديه أفكاره وتصرفاته الخاصة. فالشخصية باستمداد من الحوار الداخلي ينقل المعاني وتيار القصة الرئيسي إلى القارئ: «بستاني هو الأوحده في هذا الوادي.. نعم، الأوحده وليس له ثاني». وفي مواصلة القصة يقول: «لا.. لا، هذا لاشئ.. إنها مجرد تخيلات. متأكد أنا، من أن بستاني هو الأوحده في هذا الوادي، ولا يوجد غيره... للتصحيح، بستاني ليس الأوحده في هذا الوادي. ولكن.. متأكد أنا، من أنه الأكبر. نعم.. إنه الأكبر حجماً.. هه.. هه» (السابق، 10-11). وبهذه الحوارات الداخلية تكشف شخصية الشاب في هذه القصة، عما يدور داخلها من أفكار وآراء ومكبوتات نفسية. وكما يقول جيرالد برينس وهو «العرض المستقل الذي لا يتدخل فيه وسيط لأفكار الشخصية وانطباعاتها وتصوراتها، نوع من الفكر المباشر والمرسل والطلق» (برينس). وبهذا يتضح بان الحوار الداخلي يعبر عن حركة ذهنية بعيدة عن الحركة

الازدواجية السردية في أدب الطفل دراسة قصة «بستاني أين أنت؟» نموذجاً

الخارجية الملموسة، ومن خلال هذه المقاطع الحوارية تتبين أن المؤلف استعان بتوظيف الحوار الداخلي حتى يكشف عما يدور داخل الشاب القوي من أفكار ويكشف عن نواياه المتمثلة في نظرته المحدودة حينما كان في بستانه ويفكر بستانه واحد ليس له ثان. وبالاستمداد من المنولوج يبين للمخاطب بأن الحقيقة شيئاً فشيئاً تنكشف أمامه: فبستانه مجرد واحد من البساتين الكثيرة التي تساوي وتفوق بستانه في هذه الصفات. ووجود هذه الحوارات، يلطّف جوّ القصة ويبعدها عن عالم الراشدين ويجذب الطفل الذي يلتدّ بتكلم الشخصية مع نفسها، إلى أحداث ووقائع القصة.

3.5 علاقة النص والصورة

يجيد الفنان في هذه القصة استخدام التصاوير الفسيفسائية، لتبين وفهم أكثر، لمضمون القصة. مثلاً حينما يقول الراوي: «دار حول البستان. توقف عند كلّ جانبٍ من جوانبه الأربعة..» (محيدي، 2017: 6). يستخدم الفنان التصاوير الفسيفسائية التي يوكد على توقفه عند كل جانب من جوانبه الأربعة عاماً.



وأيضاً يؤكد على عيني الشاب خاصّةً ومرة ينظر إلى اليمين، مرة إلى يسار، ومرة إلى فوق وحينما ينظر إلى التحت رسم صورته المعارض. وكان الفنان بهذا الرسوم، يرى بعيون الطفل ويفكر بعقلية الصغار.



الازدواجية السردية في أدب الطفل دراسة قصة «بستاني أين أنت؟» نموذجاً

ثمّ حينما يقول الراوي: «رفع صوته فتردد صده في كلّ أرجاء الوادي: الأوحده وليس له ثانٍ...» (السابق، 7-8). اندمج النص والصورة، في صورة واحدة بجانب التصاوير الفلسفسائية. وكأنه ينظر إلى جملة: الأوحده وليس له ثانٍ...



وهذا الكتاب يعتمد بشكل أساسي على التكامل الإبداعي بين النص والرسوم المصاحبة له. مثلاً في صفحة 8 و9. حينما يقول الراوي: «خرج من بستانه، فوجد نفسه يصعد باتجاه قمة الجبل. منذ زمن بعيد لم يفعل. فالعمل في البستان أخذ كل وقته» (السابق، 8-9). فالفنان في التصاوير الفلسفسائية يصوّر للمخاطب أن الشاب خرج

من البستان وصعد باتجاه قمة الجبل خطوة فخطوة. فصارت الصفحة كالصور المتحركة والصور تتكاتف مع النص وحتى أكثر من النص في سرد القصة.



ثم يسرد الراوي «فجأة قرّر أن يستدير ويتأمل المشهد من أعلى..» تتغير وجهة نظر الكاميرا فتصوّر لنا البستان من خلف الشاب وهو ينظر إلى المشهد من أعلى. فالمخاطب يجد نفسه في الأجواء الحاكمة على القصة. فيمكن أن تعدّ هذه الرسوم، الرسوم التشكيلية، وهي أداة للتعبير وإثارة الخيال واكتساب المهارات لمعرفة العالم من خلال الصور الملونة.



٨

كما نشاهد هذه الرسوم في هذه الصفحة حينما يقول الراوي: «التقطت عيناه طرف بستان بعيد فقال: لا..لا، هذا لاشئ.. إنها مجرد تخيلات. متأكد أنا، من أنّ بستاني هو الأوحده في هذا الوادي، ولا يوجد غيره». أثار الدهشة تبيين في وجه الشاب. ويؤكد الفنان في عيني الشاب ليشاهد المخاطب التعجب والحزن و... في وجود الشاب.

لا..لا، هذا لاشئ..
إنها مجرد تخيلات. متأكد أنا، من
أنّ بستاني هو الأوحده في هذا الوادي،
ولا يوجد غيره.





والفنان يسهل الفهم المتبادل ويوصل الفكرة التي يريد إيصالها عبر هذه الصورة الجميلة. والرسم لغة مهمة تساعد الطفل على فهم النصوص القصصية. والصورة تساعد عرض القصة وسردها مكان الراوي.

4. خاتمة:

- ❖ تلجأ نبيهه محيدلي في قصتها المدروسة في هذا البحث إلى السرد الموضوعي لأنها تسهل تقريب الأحداث والصور من ذهن الطفل.
- ❖ والكاتبة استخدمت الوصف كوسيلة أساسية في بناء الشخصية والحدث والمكان، وغالباً ما يكون وصفاً متحركاً، ويتعد عن الجمود المعروف في الوصف. ويجعل القارئ يتخيل الأحداث ويعيش معها كأنها مجسدة أمامه. وتجيد محيدلي الوصف التفسيري في قصتها وتعبّر عن الحياة النفسية للشخصية كيف ترى الأمور وتحسّ بها وترنو إليها، فتجعل القارئ يتجاوز الصور المرئية إلى باطن الشخصية فيفهم نزواتها ويفسر سلوكياتها.

❖ بسبب وجود الشخصية الواحدة في هذه القصة، لانرى الحوار الخارجي فيها. لأن هو حوار تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر الحديث في إطار المشهد داخل العمل القصصي. في هذه القصة يعبر الحوار الداخلي عن حركة ذهنية بعيدة عن الحركة الخارجية الملموسة، ومن خلال هذه المقاطع الحوارية تبين أن المؤلف استعان بتوظيف الحوار الداخلي حتى يكشف عما يدور داخل الشاب القوي من أفكار ويكشف عن نواياه المتمثلة في نظرته المحدودة حينما كان في بستانه ويفكر بستانه واحد ليس له ثان. وباستمداد المنولوج يبين لنا بأن شيئاً فشيئاً تنكشف أمامه الحقيقة: فبستانه مجرد واحد من بساتين كثيرة تساوي وتفوق بستانه في هذه الصفات.

❖ علاقة النص والصورة في هذا الكتاب، كمعظم أعمال نبهة محيدلي، علاقة توضيحية. بمعنى أن النص لايهتم عادةً بالجزئيات، والصورة تعكس الجزئيات. فالصورة تقوّي المادة الأساسية الموجودة في النص. لايمكن اتباع القصة من خلال الصور، لأنها لا تروي القصة بشكل كامل.

❖ ومن ميزات نجاح هذه القصة، حضور الرسام أو الفنان مرهف الحس يمتلك الخيال والقدرة على توظيف هذا الخيال بالألوان، والأشكال؛ يفهم الأطفال. ويرى بعيون الطفل ويفكر بعقلية الصغار. ويسهل فهم السرد للأطفال. وهذه القصة المدروسة استمدت روعتها من تصويرها الصادق للبيئة التي تفاعلت مع الشخصيات وجعلت أحداثها محتملة الوقوع.

بعد دراسة هذه القصة خلصنا إلى مجموعة من النتائج مضافاً على ما سبقت ؛
نجملها فيما يلي:

❖ النصوص ليست مطبوعة؛ بل مكتوبة باليد. وهذا الأمر يؤدي إلى جوٍّ حميمٍ بحيث يقرب القارئ نفسه بالشاب.

❖ رسَمَ الفنانُ، الشابَ بالخطوط البسيطة والرسومات قريبة جداً بالرسومات الطفولية. فالمخاطب عند المواجهة مع الكتاب يراه قريباً من نفسياته ويتعامل معه أفضل.

❖ ومن الحواس الخمس التي تستخدم في هذه القصة، حاسة البصر، إذ يؤكّد الراوي على الرؤية وأثارها في نفس الرجل.

- ❖ تميل الكاتبة في قصصها إلى إلقاء الفكرة الفلسفية على المخاطب بحيث يجعل المخاطب يفكر في الموضوعات التي تناولتها القصة.
- ❖ التراوح يؤدي إلى التغيير في القصة ووجهة نظر الرجل وآرائه. فالشخصية في بداية مشواره نحو القمة لديه رأي وعند نزوله من الجبل لديه رأي مختلف ونظرة جديدة.
- ❖ تتيح التصاوير الفسيفسائية قدرة جديدة في القصة ويعمل كعمل الصور المتحركة وهذا الأمر يجعل القصة في المستوى الأعلى في السرد وتحرك الصور.
- ❖ يمكن أن ينظر إلى شيء واحد من وجهات النظر المختلفة. وكل هذه وجهات النظر صحيحة في مكانها.
- ❖ عندما ينقل الراوي ذهن الشخصية، تقرب الصورة من وجه الرجل، كأن الرسام يريد أن يقرب الطفل المخاطب من أفكار الشخصية وحينما يمشى الرجل تبعد الصورة منه، كأن الرسام يريد أن يعطينا صورة كلية من المشوار.
- ❖ وأسهم الرسام دوراً هاماً وبارزاً في توفيق هذه القصة. ويمكن القول: أن نجاح الكاتبة نبهة محيدي أو فشلها قد يتوقف على قدرة الفنان في توظيف الصور والرسوم في كتابها كعنصر من عناصر السرد. لأن العصر الذي نعيش فيه هو عصر الصورة، عصر التفكير البصري، وبما أن الأطفال يفكرون بصرياً، فصورة واحدة تكفيه عن ألف كلمة.

5. المراجع:

- أونيس، شهرزاد، (2013). البنية السردية في قصص الأطفال سلسلة "حكيت لي جدتي" لصالح شريفة - أنموذجاً. (رسالة الماجستير، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي).
- بحراوي، حسن (1990). بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- تولان، مايكل. جي (1386). رواية شناسي، درأمدى زيان شناختي - انتقادي. ترجمه ى سيده فاطمه علوى وفاطمة نعمتى. طهران: سمت.
- جينت، جيرارو الأخرن (1989). نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير. ترجمة: ناجي مصطفى، بيروت: مطبعة منشورات كوثر.
- الحمداني، حميد (1991). بنية النصّ السردى. بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- ظريف، هاجر (2015). الشخصية في أدب الطفولة بالجزائر أحمد خياط نموذجاً. (رسالة الماجستير، الجزائر، جامعة سطيف).

- عبدالسلام، فاتح (1999). الحوار القصصي، تقنياته وعلاقاته السردية. الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الفارس للنشر والتوزيع.
- عودة بدن، جبار، وياسمين كريم عبدالرضا (2016). "أساليب السرد القصصي ووسائله في قصص محمود الظاهر". الدراسات اللغوية والأدبية، 9، 186-212.
- مارون، يوسف (2011). أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق. لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.
- مقدادي، موفق رياض (2012). البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل.
- ميرقادي، بشرى سادات (1393). "علاقة النص والصورة في استخدام آليات اللامركزية في الكتب القصصية المصورة للأطفال، قصة كائنات سقف الغرفة نموذجاً". جيل الدراسات الأدبية والفكرية، 5، 21-35.
- محيدلي، نبيهة (2017). بستاني أين أنت؟ بيروت: دارالحدائق.
- ويليك، رينيه واوستن وارني (1992). نظرية الأدب. ترجمة: عادل سلامة. الرياض: دارالمريخ.
- يوسف، أمانة (2015). تقنيات السرد في النظرية والتطبيق. الطبعة الثانية منقحة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- Flynn, Richard (2012). *Telling children's Stories: Narrative Theory and Children's Literature*. Edit by Michael Cadden. The Johns Hopkins university Press.
- Golden, J.M. (1990). *The Narrative Symbol in Childhood Literature: Explorations in the Construction of Text*, Berlin: Mouton De Gruyter.

*** **